

التفسير المختصر - سورة طه (٢٠) - الدرس (١٦-٠٦) : تفسير الآيات ٣٩ - ٥٠ ، أسلوب الدعوة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٤-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة الكرام:

لا زلنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، بعد أن قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَكَا تَحْزَنَ

وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا

مُوسَىٰ (٤٠) وَاصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي (٤١)﴾

كانت هذه الكلمات محور الدرس الماضي.

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾

ولا تنيا، يعني لا تتباطأ.

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾

دخل واعظ على بعض الملوك، قال إني سأعظك وأغظ عليك فقال له الملك وكان أفقه من الواعظ، ولما الغظة يا أخي؟ لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون فقالوا:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾

الإسلام قوته في أفكاره، قوته في الحقائق التي ينطوي عليها قوته في هذا الكتاب، قوته في السنة، أما أن يلجأ الإنسان إلى العنف هذا الأسلوب ما أنزل الله به من سلطان، هذا الأسلوب من صنع أعداء المسلمين، في تشويه سمعة المسلمين، ليستقر في ذهن كل إنسان أن المسلم مجرم، والآن العالم كله يكافح الإرهاب الإسلامي.

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾

أضرب لكم مثلاً:

في طريقة اسمها التدخل الإيجابي، لو فرضا في عندنا مائة محل تجاري وهذه المحلات أصحابها لا يتقيدون بالتسعيرة، مثلاً يقدمون بضاعة سيئة بأسعار باهظة، هناك تدليس، هناك غش

الخ.. ولي أمر المسلمين ماذا عليه أن يفعل ؟ عليه أن يجمع الغش، فإذا داهمنا هذه المحلات، وضبطنا الغش، وأغلقتها، وختمناها، وأخذنا أصحابها إلى السجن، هذه الطريقة اسمها طريقة القمع في طريقة نظرية ليست مطبقة عملية، تفتح محل تباع أحسن بضاعة، بأرخص سعر، بأطيب معاملة، وكل هؤلاء الناس يأتون إليك، وينصرفون عن هؤلاء الغشاشين، لا قمعت، ولا قهرت، ولا ظلمت، ولا اعتديت بل قدمت هذا الأسلوب بأرقى شكل.

الدعوة الآن إلى الله لا تتجح إلا بهذه الطريقة، قدم الإسلام بأبهى صورة، قدمه بالتفكير العميق، قدمه بالأدلة الواضحة، قدمه بالنموذج الصادق، قدمه بالقوة الحسنة، قدمه باليسر، قدمه بالتسامح، قدمه بالموعظة الحسنة، قدمه بالنصيحة المخلصة، قدمه بالواقعية، لا تحقد، ولا تكن عنيفاً، ولا تسلك سبل المجرمين لنشر هذا الإسلام وهذه الآية دليل.

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣)

فرعون الذي قال:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢٤)

(سورة النازعات: ٤٣)

فرعون الذي ذبح أبناء بني إسرائيل، فرعون الذي استحيا نسائهم، فرعون الذي ملكهم، وعبدتهم، هذا بالذات:

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهِ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٤٤)

إذاً: من أمر بالمعروف، انظروا الحق أعظم، وأسمى وأجل من أن نتخذ وسائل غير مشروعة لنشره، الهدف النبيل نسلك في نشره الأسلوب النبيل، الأهداف النبيلة لا تبرر الوسائل غير النبيلة الأهداف النبيلة لها وسائل نبيلة، الشريعة رحمة كلها، عدل كلها مصلحة كلها، فأى قضية خرجت من العدل إلى الجور، من الرحمة إلى القسوة، من المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل، علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

(سورة آل عمران: ١٥٩)

حديث قدسي:

((إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسي ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما

صحبتموه.))

الدعوة إلى الله تحتاج إلى حكمة بالغة، تحتاج إلى أن تملك القلوب، لا أن تملك الرقاب، الأقوياء ملكوا الرقاب، لكن الدعاة إلى الله ملكوا القلوب، ولا تملكوا القلوب إلا بالإحسان، والتلطف والمثابرة، والحلم، والتبشير لا التنفير، والتيسير لا التعسير والستر لا الفضيحة، فالأساليب التي

تستخدم الآن في نشر الإسلام المخالفة لمنهج الإسلام هذه تخدم أعداء الإسلام، نحن لا نخشى على الدين من أعدائه، نخشى على الدين من أديائه، أعداء الإسلام يدفعون الملايين المملينة من أجل تشويه الإسلام، والإسلام لا يشوه إلا بالعمل الإجرامي، إلا أن يستقر في ذهن العالم كله، أن الإسلام يعني جريمة.

فذلك:

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾

الإسلام قوي بأفكاره، قوي بحججه، قوي ببيانه، قوي بالمنهج، قوي بهذا الكتاب، قوي بهذه السنة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥)﴾

هذا قتل الإنسان عنده مثل قتل نملة، اقتلوهم.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَّا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ

وَأَرَىٰ (٤٦)﴾

لكن وين قاعد أنا ؟ أنا معكم.

إذا المؤمن قرأ هذه الآية، فكلما واجه قوياً، أو إنساناً شريراً أو عدواً حاقداً،

﴿قَالَ لَّا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦)﴾

يسمع يطمئن، الله عز وجل ما خلق مخلوق وفلته، ما خلق مخلوق إلا وقابضه.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)﴾

(سورة الزمر: ٦٢)

لا تخاف، وحوش كاسرة كلها بإمكانها أن تقترب الإنسان لكنها مربوطة بأزمة محكمة، بيد عادل، رحيم، علاقتك مع الوحوش، مع من يملك أزمة الوحوش، علاقتك ليست مع الوحوش الكاسرة، المخيفة، بل هي مع من يملك أزمته.

فذلك قال سيدنا هود:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾

(سورة هود: ٥٥)

لذلك:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ (٢١٣)﴾

(سورة الشعراء: ٢١٣)

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَّا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ

وَأَرَىٰ (٤٦)﴾

قصة رويتها لكم من قبل، لكن الآن مناسبة لنذكركم بها الحسن البصري أدى أمانة العلم، وضح بعض الأمور، هذه الأمور التي وضحتها أغضبت الحجاج، وأغضبته غضباً شديداً، حتى قال لمن حوله: أنتم ماذا فعلتم حينما قال كذا وكذا؟ يا جبناء، والله لأسقيناكم من دمه الآن، واستدعى السيف إلى قصره، ومد النطع حتى الدم لا يلوث الأثاث الفاخر، وقال اثتوني بالحسن البصري لقطع رأسه انتهى الأمر، فلما دخل الحسن البصري على الحجاج ورأى السيف جاهزاً لقطع رأسه، والنطع قد مدّ، تتمم بكلمات لم يسمعها أحد ثم دخل على الحجاج، فما كان من الحجاج إلا أن وقف له، وقال أهلاً بأبي سعيد وما زال يقربه، ويقربه حتى أجلسه إلى جانبه على السرير، وسأله عن بعض الأسئلة، قالوا: وعطره، وطلب الدعاء منه، وقال أنت يا أبا سعيد سيد العلماء ثم شيعه، من الذي صعق؟ السيف، والحاجب تبعه الحاجب قال له يا أبا سعيد لقد جيء بك لغير ما فعل بك، ماذا قلت وأنت داخل؟ قال له: قلت ما ملاذي عند كربتي، يا مؤنسي عند وحشتي، اجعل نقيته عليّ برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

الله بدل له قلبه، ألبسه هيبة كبيرة جداً، ألقى العطف بقلب الحجاج، ألقى الهيبة على الحسن البصري، والحسن البصري مرة سأله والي البصرة، جاءه توجيه من يزيد هذا التوجيه لا يرضي الله عز وجل قال له إن الله يمنعك من يزيد ولكن يزيد لا يمنعك من الله إذا أنت أطعت مخلوق وعصيت الخالق الله في عنده أورام خبيثة، في عنده أشياء، الواحد ينهار منها، وهؤلاء لا ينفعونه، أما إذا أَرْضِيتَ اللهُ عز وجل، وأسخطهم، الله يمنعهم منك، إن الله يمنعك من يزيد ولكن يزيد لا يمنعك من الله.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَّا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ﴾

﴿وَأَرَى (٤٦)﴾

لكن الإنسان متى يستحي يطلب من الله، يخجل أن يتوكل عليه، إذا كان مقيم على معصيته، إذا مقيم على معصية لا يستطيع التوكل عليه، ولا يستطيع الالتجاء إليه، ولا يستطيع أن يحتمي بحماه أما إذا كنت مقيماً على طاعته أنت أقوى إنسان، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن فيما يدي الله أوثق منك بما في يديك، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتقي الله.

﴿فَاتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧)﴾

يعني مو السلام عليك.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧)﴾

يعني إذا أنت خاطبت إنسان ينكر وجود الله عز وجل تقول له السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذا الكلام ماله معنى، قول له السلام على من اتبع الهدى لا عليك.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) ﴿

الآن فرعون يسأل من هو الله ؟ من هو ربكم ؟ والله هذه الآية يمكن أن يكتب فيها مائة ألف صفحة.

﴿قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾

أوسع كلمة على الإطلاق في اللغة، شيء.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْسِجُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

(سورة الإسراء: ٤٤)

جسم الإنسان فيه مليون آية تؤكد هذه الآية، بالطعام والشراب بالنبات، بالحيوان، بالسموات، بالأرض.

﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾

هذه الشعرة لها وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، في برأس الإنسان ثلاث مائة ألف شعرة تقريباً ولكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وغدة، وعضلة، دهنية وصبغية، شبكية العيد ١٣٠ مليون مخروط وعصية، قال لي واحد الاتصالات الخارجية أصبحت سهلة جداً ما هو السبب ؟ قال في خط الآن كهربائي ألف مكالمة بخط واحد، لكن العصب البصري ٩٠٠ ألف خط بخط، ولكل خط ثلاث أعمده، بحزمة قطرها ميلي واحد هذه الآية إن شاء الله موضوع درس الغد.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾

شوف خصائص الحيوانات، خصائص النباتات، أنت عندك حقل بطيخ بدك تعرف أي استوت، وكله أخضر، معقول تنبطح جنب البطيخة ودقها بيدك !! هي بدها شغل غير معقول، الله عمل لك حلزون بعد ذنبها بقليل، تمسكه تضغظه إذا انكسر تقطعها، استوت، إذا طري بتخليها. في آلاف الأدلة بالنبات، حليب الأم ما فيه حديد، بطحال الطفل الرضيع في كمية حديد تكفيه سنتين، إلى أن يأكل الشوربة والعدس.

﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾

هذا الماء إذا تبرده ينكمش، ينكمش، ينكمش، عند زائد أربعة يتمدد يتمدد لولاها ما كنا نحن قاعدين، هل تصدقون أن الحياة على وجه الأرض متوقفة على هذه الخاصة، إذا كان برد ينكمش معناها تزداد كثافته، معناها ويقل حجمه ويزداد وزنه، معناها يغوص، معناها البحار متجمدة بعد حين تصبح إلى أعماقها متجمدة والتجمد يتمدد إلى أن يعم بحار الأرض، عندئذ ينعدم التبخر ومع انعدام التبخر تنعدم الأمطار، ومع انعدام الأمطار ينعدم إنبات النبات ويموت الحيوان، ويموت الإنسان، كل حياتنا موقفة على هذه الخاصة بالماء عند الدرجة زائد أربعة يتمدد الماء، عبي قنينة وحطها بالفريزر تنكسر القنينة، لماذا ؟ لأنه يتمدد، والماء إذا حب يتمدد بالمناسبة ما في قوة

بالأرض أرضية تمنعه، يكون محرك فولاذ، من أفسى المعادن، إذا الماء فيه وصار فيه تجمد ينشق نصفين المحرك والآن أحدث طريقة لقلع الرخام يحفروا أنفاق ويملؤها ماء ويبردونها يحيطها من أربع جهات تطلع كتلة متر مكعب رخام بدون جهد كبير عن طريق تمدد الماء بعد التبريد، يعني يشق الصخر الماء إذا تمدد والماء لا ينضغط، جابوا مكبس ٨٠٠ طون ما تمكنوا يضغطوا الماء ولا ميلي، إذا تمدد ما في قوة تقف أمامه، هذا الماء، شو بدك آيات بالماء في آيات، بالنبات في آيات، بالفواكه في آيات، بالأشجار في آيات، هذه الآية أفخم آية للإنسان أن يفكر فيها طول حياته.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى (٤٩)﴾

من هو الله؟ فرعون قال:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)﴾

(سورة النازعات: ٢٤)

من هو إلهكم؟ من هو ربكم؟ قال له:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾

إن شاء الله غداً نفصل فيها.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين